



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة



كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
التخصص: آداب أجنبية وأدب مقارنة

الثورة والتمرد بين شيللي والشابلي

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر

إشراف الأستاذة

❖ سميرة قروي

إعداد الطالبة

✚ إيمان غواري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
فيصل حصيد	أستاذ محاضر.أ	جامعة عباس لغرور	رئيسا
سميرة قروي	أستاذ محاضر.ب	جامعة عباس لغرور	مشرفا ومقررا
ميلود رقيق	أستاذ محاضر.أ	جامعة عباس لغرور	مناقشا

السنة الجامعية

2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وقدير

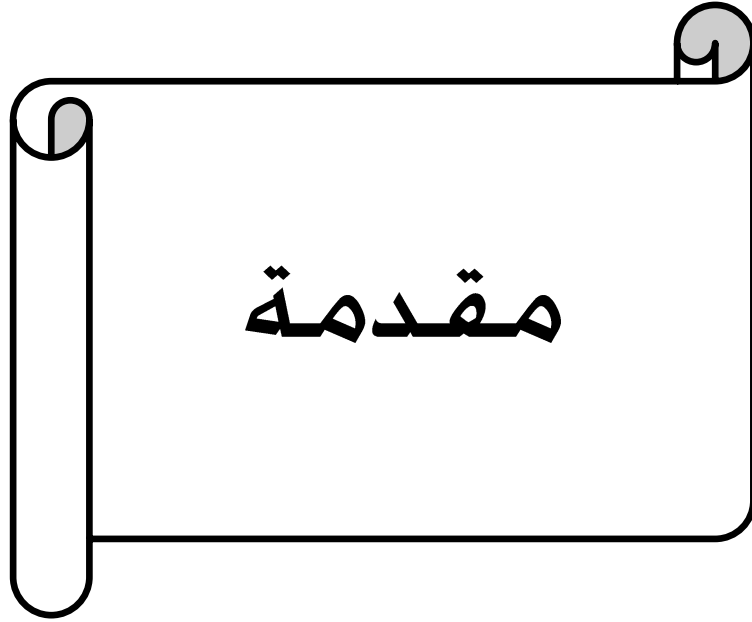
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية 19 من سورة النمل.

الحمد لله رب العالمين بعظيم قدرته، وجليل سلطانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالحمد والثناء لما منحني إياه من صبر وقوة وتحمل لإنجاز هذا البحث. فأليك يا رب أتضرع وأرفع أسمى آيات الحمد والشكر والثناء.

وأقدم بالشكر والتقدير للدكتورة "قروي سميرة" المشرفة التي صبرت معي كثيرا وتحملتني كثيرا، وما بخلت علي بتوجه وإرشاد، فلها مني أسمى آيات الشكر والعرفان.

والشكر والعرفان لجامعة عباس لغرور-خنشلة- وأسرتها ككل التي أتاحت لي فرصة التأهيل.



مقدمة :

جاءت الرومانتيكية كردة فعل على الكلاسيكية وقيودها، وسيطرتها الخانقة للمبدع والإبداع، فكانت ثورة جامحة على مبادئها وقوانينها الصارمة، فأبحرت الرومانتيكية في عالم الخيال، بأجنحة قلق وكآبة تحت غيوم الحزن والأسى والضجر، في زمن صُنّف فيه الأفراد في طبقات، فراحت العليا منها تنتهك حقوق السفلى وتعيش على حسابها، واستغل القوي الفرصة فراح ينهش لحم الضعيف، يستنزف دماءه ألماً وتعذيباً، تحت مطرقة الجهل، وسيف الخوف وشوكة الانحطاط.

فخيّم على المجتمعات جو من التعسف والحقد، فرض على أفرادها السير في متاهات العتمة والظلام الدامس، ليحجب عنها نور التقدم والتطور والتحرر فما كان لها إلا أن تتجب من رحمها مبدعين شعراء يعرفون أن الشعر أصدق تعبير عن المشاعر الإنسانية المضطهدة، يغنون للشذى، لبراعم الزهر، للصبح الحالم، في دنيا الهوان والضعف والاستسلام.

فلم تجد عزاءها إلا في روح شاعر عاش محنتها، شرب من كأس ألمها مسح دمة فقرائها، فحمل شعلة من نار كبدها، تحررها وأفرادها من كهوف العبودية، فانفجرت قريحته لنصرتها، هذا ما كان من شعراء الرومانتيكية الثائرة الحاملين لراية الثورة والتمرد، لتشرق شمس تلك الثورة الرومانتيكية على نوافذ الشعراء العرب، فيحتضنوها بقوة، لتنعكس مظاهرها في شعرهم.

لعل السؤال الملح الذي يطرح نفسه هنا وبقوة: لماذا وقع الاختيار على موضوعة الثورة والتمرد؟ لماذا عقدت مقارنة بين شيللي والشابي دون غيرهما من الشعراء؟ هل حقا جمعت بين شيللي والشابي رؤيا موحدة؟ كيف زعزعت هذه الرؤيا المجتمعات المضطهدة؟ هل استطاعت أن تبعثها من رمادها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، وسمتُ موضوعي بـ: "الثورة والتمرد بين شيللي والشابي"، إذ كان الأول شاعراً بارزاً من أعلام الشعر الإنجليزي، والثاني شاعراً عربياً خفقت القلوب لشعره، وهتفت به.

أما الأسباب العامة التي دفعتني لاختيار موضوع هذا البحث فتعود إلى شغفي بالشعر الذي شكل أكبر حافز لي، إضافة إلى هيامي بشعر الشابي الذي يزرع في كل نفس حرة العزيمة والإرادة، إذ كانت معرفتي بشعر الشابي أسبق منها بشعر شيللي، ومن ناحية أخرى فقد ألقى بي كلا من شيللي والشابي إلى عالم من الإبداع، أضفت عليه موضوعة الثورة والتمرد لمسة فنية رومانتيكية مميزة.

على غرار الدراسات السابقة التي بحثت في علاقة الشعر الإنجليزي والشعر العربي بل تأثر الشعر العربي بالشاعر الإنجليزي شيللي، من مثل ما قامت به الباحثة "جيهان صفوت رؤوف"، في كتابها "شيللي في الأدب العربي في مصر"، حيث ركزت الحديث عن شعر شيللي المترجم، مبينة أثره في الرومانتيكيين العرب "علي محمود طه" أنموذجاً إضافة إلى ما حاول "لويس عوض" توضيحه عن شيللي وعلاقته بقضايا مجتمعه وبحبه للطبيعة في تقديمه لترجمة مسرحية "برومتيوس طليقا" لشيللي.

ارتأيت أن أقسم البحث إلى مدخل وفصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي وخاتمة.

في المدخل: قمت بتعريف الرومانتيكية، نشأتها وخصائصها...

وتناولت في الفصل الأول "شيللي والشابي": حياة شللي ثم البيئة السياسية والاجتماعية والتاريخية في عصر شيللي، ثم أهم الموضوعات التي تناولها في شعره (الطبيعة- الحب- الحزن)، الأمر نفسه بالنسبة للشابي: حياته، البيئة السياسية والاجتماعية في عصر الشابي، أهم الموضوعات التي تناولها في شعره (الطبيعة، الحب، الكآبة).

أما الفصل الثاني: فتمّ فيه عقد مقارنة بين شيللي والشابي من خلال رصد الظواهر المشتركة بين شعرهما.

وقد اتبعت المنهج التاريخي المقارن، التاريخي: الذي رأيتُه مناسباً، لتتبع التغيرات التاريخية في عصر كل من شيللي والشابي، المقارن : لرصد الظواهر المشتركة بين شعرهما، وكشف اللثام عن الرؤيا التي جمعت بينهما. واعتمدت جملة من المصادر والمراجع أذكر منها: "الخيال الشعري عند العرب" للشابي وديوانه "أغاني الحياة"، كذلك أسطورة شيللي الشهيرة "برومتيوس طليقا" ترجمة لويس عوض- وهذا على سبيل المثال لا الحصر...

وخاتمة البحث كانت عبارة عن جملة النتائج التي توصلت إليها من خلال مسيرة البحث والتقصي والتحليل.

ولأنه لا يخلو أي بحث من مصاعب تواجه صاحبه في بداية طريقه كمبتدئ، وهو ما عاينته من ندرة المراجع المتخصصة في ميدان الآداب الأجنبية، إضافة إلى ضيق الوقت، فلم أعطِ الموضوع حقه الكافي من البحث والاستقصاء، لذلك فإن كان هناك تقصير فمني ...

مدخل : الرومانتيكية (Romantic)

1. المفهوم

2. النشأة

3. الخصائص

مدخل: الرومانتيكية (ROMANTIC)

أ- المفهوم :

جاءت الرومانتيكية (Romantic) لتقف أمام الكلاسيكية بروح ثائرة متمردة قائمة ضد كل ما هو تقليدي سائد، فبعثت فيه روحاً حاملة متفائلة متشائمة من حين لآخر رافضة لكل شيء من شأنه أن يقيد روحها ويحبس أنفاسها، بحجة العقل والمنطق فغرست سهامها الملتهبة بنار الحب والتحرر والثورة، في قلب الواقع الطاعي بقيود أشكاله الفنية السائدة فأسقطت الكلاسيكية من أبراجها الأسطورية، ليفل نجمها، وتسطع شمس الرومانتيكية فنسجت بأفكارها ومعتقداتها الجديدة أرضية صلبة لها، بعثت بأصدائها القوية قوة إيمانها، بالتغيير في كل نفس تواق للحرية والتحرر، ليعتقها الكثير من الكتاب والنقاد على اختلاف وجهاتهم وآرائهم، لذلك كان من الصعب حصر الرومانتيكية في تعريف واحد ووحيد، إذ لم تكن مفهوماً واضح المعالم والحدود، فالرومانتيكية أو «الرومانسية أو الرومانية (Romantisme) نسبة إلى كلمة رومان (Roman) التي كانت تعني في العصر الوسيط حكاية المغامرات شعراً ونثراً، وتشير إلى المشاهد الريفية بما فيها من الروعة والوحشة...»¹ يتبين من هذا أنها تشير إلى كل ما هو عفوي، فتمثل الأدب الشعبي الذي يخرج مباشرة من الأعماق دون ضوابط أو قواعد تتحكم في مخارج حروفه كما عبرت أيضاً عن كل ما من شأنه أن يخرج عن المؤلف ويحطم حواجزه.

وقد تطور مفهوم الرومانتيكية عبر فترات متتالية حتى أصبح يطلق على مذهب أدبي واضح التوجهات والأفكار، فكان لمعتقي هذا المذهب من النقاد والكتاب تعريفه الخاص للرومانتيكية فنجد :

❖ «الرومانسية: هي العودة إلى الطبيعة «روسو» (Rousseau) الرومانسية هي حركة أدبية تبنت ما ترفضه الكلاسيكية «برونتيير» (Brunetiere).

¹ عبد الرزاق الأصفر. المذاهب الأدبية لدى الغرب- مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها-. منشورات اتحاد الكتاب

❖ الرومانسية ليست عكس الكلاسيكية ولكنها عكس الواقعية (Realism) هي انسحاب من عالم الخبرة الخارجية العامة إلى الخبرة الداخلية «أبر كرومي» (Abercrombie).

❖ الرومانسية هي التحررية في الأدب (Liberalism) وهي المزج بين الخيال الغريب بكل ما هو تراجيدي أو متسام، وهذا هو ما ترفضه الكلاسيكية، إن الرومانسية هي حقيقة الحياة في صورتها الكاملة "فيكتور هوجو" (Victor Hugo).

❖ الرومانسية هي العودة إلى حياة العصور الوسطى وفكرها "هايني" (Heine) يميل المزاج الكلاسيكي إلى دراسة الماضي، أما المزاج الرومانسي فلا يهتم بالماضي "شيلنج" (Schelling).

❖ الرومانسية هي الذاتية، هي عشق كل ما هو مثير أو مفجر للصور الذهنية (Picturesque)، وهي رد فعل معاكس لكل ما يسبقها مباشرة "فيليبس" (Phelps).

❖ الرومانسية هي فن اليوم في أي وقت، والكلاسيكية هي فن اليوم السابق "ستندال" (Stendhal).

❖ الرومانسية تطور غير عادي للحساسية الخيالية "Imaginative Sensibility" "هيرفورد" (Herford).

❖ الرومانسية هي إضفاء الغرابة على الجمال "باتر" (Pater) «¹

لنقف هنا وقفة تأملية لمجموعة التعاريف هذه التي تختلف من كاتب لآخر، ومن ناقد لآخر، في تعريف الرومانتيكية، ولكن في مجملها تصب في نهر واحد أن الرومانتيكية ترتبط بالطبيعة، وهناك من يراها عكس الكلاسيكية بل يقارنها بها، في حين يراها الآخر عكس الواقعية، هي الاكتئاب، الذاتية، العودة إلى الطبيعة واحتضان عناصرها ...

كانت الرومانتيكية الحاملة منبعها فرنسا، إذ تمثل الرومانتيكية الفرنسية الشاعرة الحاملة المرفهة الأحاسيس والمشاعر، تسبح في فضاء الجمال و تعانق ملامحه، لتخرجه إلى العالم بلمسة سحرية، كتب على خطوط كفها: الحنين، الألم، الشوق، لذلك تغدو

¹ جيهان صفوت رؤوف. شيلي في الأدب العربي في مصر. دار المعارف، القاهرة، 1911. ص: 22-23.

الصخرة الصلبة ينبوع الحنان، وأنيس الشاعر العاشق، ورمز القوة والصلابة المرفهة التي تدعم إلهامه وتنمي خياله، يلجأ إليها فتصبح توأمة الروحي، فيحولها من جمادها وسكونها ليجعلها منبرا تتفجر منه أشعة الجمال الذهبية، لانعكاس خيوط الشمس الرفيعة الحادة عليها فتخترق صلابتها لتحرر أعماقها وتكشف اللثام عن تلك الجوهرة الثمينة فترسم على وجهها ابتسامة دافئة، تهمس في أذن كل من يراها تحرر من القيود المفروضة عليك، واعتنق جمال الكون الخفي.

أما المدرسة الإنجليزية « فلم تشغل بالها بمحاولة التعريف فمن الثابت أن المصطلح الأدبي «رومانسي» لم يرد على الإطلاق في دفاع شللي عن الشعر، ولا في «السيرة الذاتية» لكوليردج ولا في مقدمة وردزورث لقصائده الغنائية القصصية وهي الوثائق الثلاث التي تشرح النظرية الرومانسية الإنجليزية في الشعر»¹ فقد تميز الرومانتيكي الإنجليزي بالثورة والتمرد على المجتمع وأفراده، ونصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم المستبد، زعزعت الضعيف المستكين، لينبعث من رماد ظلامه الداخلي، ويخلق في فضاء الحرية الشاسع.

ولقد كانت الرومانتيكية ثورة على الكلاسيكية هذا ما نراه واضحا من خلال أفكار ومعتقدات أنصارها ومعتنقيها من الأدباء والنقاد، فهي التيار الذي يهدف إلى الرجوع للطبيعة، إلى حب الذات التي تعبر عن مشاعر النفس البشرية الجياشة وعواطفها وأخيلتها وسير أغوارها، لتعبر عن الأمل والألم، الحب والحزن، النهوض في وجه كل ظالم مستبد بروح ثائرة متمردة لا تعرف الركون ولا الخضوع والاستسلام فتهميم في سماء الأحلام بأجنحة من الخيال والصور المختلفة، مفككة قيود العقل الشاحبة منطلقة مع سلطان القلب بعيداً عن الأسلوب المتأنق والألفاظ القوية الجزلة، لتبحر بسفينة كتب على أشرعتها: التلقائية، العفوية والبساطة في بحر المطلق واللامحدود، لتصل إلى جزيرة الابتكار والخلق، التي تصور الحياة وأسرارها كما يجب أن تكون.

¹ المرجع السابق. ص: 26.

ب- النشأة :

مهد لظهور الرومانتيكية الثورة الغاضبة على الكلاسيكية و قيودها مجموعة من العوامل المختلفة المنابع، فقد برزت الرومانتيكية كرد فعل على الأنماط المسيطرة على المجتمع الأوروبي المغتصبة لحقوقه، فكان تطورها في البلدان الأوروبية ينحصر ما بين العقد الأخير من القرن الثامن عشر والثالث الأول من القرن التاسع عشر. كنتيجة لمتغيرات العصر الاجتماعية والسياسية وحتى التاريخية، بالإضافة إلى هذه العوامل « قد قامت إلى جانبها جهود جدية ترمي إلى التحرر السياسي والفكري، وتمثلت هذه الجهود في الطبقة البرجوازية التي أخذ يتكاثر عددها كلما تقدم بها ذلك العصر، وأخذت كذلك تطلع للظفر بحقوقها السياسية والاجتماعية على حساب الطبقة الأرستقراطية...»¹.

لتنسقطها من عرشها المتين، تزعزع نظامها الإقطاعي الصلب، فيذهب أدراج الرياح. فيبرز فجر عهد جديد مع النظام البورجوازي، « إن النظام البورجوازي الذي نشأ أو الذي شرع ينشأ، لم يكن مقبولا عند أنصار المجتمع الإقطاعي القديم، الذي دمرته الثورة كما أنه لم يكن مقبولا أيضاً، إن كان ذلك لأسباب مغايرة تماماً عند أولئك الذين نظروا إلى الثورة ونتائجها من وجهة نظر مصالح الشعب وأمانيه»². فقد كان لأنصار المجتمع البورجوازي جهوداً عظيمة في تحطيم النظام الإقطاعي - بل القضاء عليه نهائياً - «وقد توجت هذه الجهود بالثورة الفرنسية التي كان تأثيرها عميقاً في الأدب الرومانتيكي في أوروبا جميعاً، بما أوحى من أفكار جديدة في علاقة الأدب بالمجتمع، فأوحت إلى أدباء إنجلترا باتجاهات ثورية كان لها صداها في أدبهم، بل كانت أهم الأسباب في توجيههم الوجهة الجديدة»³، والتي من شأنها أن تعلي شأن الفرد في مجتمعه، من خلال نداء هذه الثورة بمبدأ الحرية، إذ يعتبر هذا المبدأ بمثابة الحافز الذي بعث في روح الشاعر الشجاعة والتمرد على المجتمع وقوانينه الظالمة الغاشمة، لينعكس هذا على كل فرد

¹ محمد غنيمي هلال. الرومانتيكية. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. ص: 26

² فؤاد المرعي. المدخل إلى الآداب الأوروبية. مديرية الكتب والطبعات الجامعية، سوريا، 1996. ص: 171.

³ محمد غنيمي هلال. الرومانتيكية. ص: 27.

فينهض ليطالب بحقوقه المهضومة، ويستتردها بقوة فتشرق شمس حياة جديدة « ولم يكن للثورة أن تؤتي ثمارها في هذه الناحية لو لوم يسبقها عامل آخر صبغ ما قبل الرومانتيكية صبغة جديدة، ألا وهو عالم الأسفار والرحلات، ساعد الرحالة على إطلاق خيال مواطنهم في الحلم بحياة خير من حياتهم في المناطق البعيدة، وفي الأفق المجهول وكان بعض هذه الرحلات في الشرق حيث وصفت فيه حكمة المصريين القدماء، وتسامح الشرقيين»¹، فهناك وفي الشرق الدافئ، اكتشفوا شهرزاد الجميلة الذكية التي سيطرت على سلطانها من خلال حكاياتها التي اخترقت قلبه، فتجولت في أرجائه، بل سيطرت على مشاعره برقة حديثها ودفء صوته، فسحرته وقيدته بخيالها الواسع، بعيداً عن عقله ومنطقه القاتل.

كانت هذه الفاتنة بمثابة الحجة الدامغة، والدليل القاطع على قوة القلب، وضعف العقل أمامه، إضافة إلى جمال الشرق، وسحر طبيعته، وحرارة شمسها التي تثير الخيال وتصنع الأحلام، فعاد الرحالة إلى أوطانهم بأفكار جديدة، ونظرة جديدة للحياة من خلال التعرف على الآخر في موطنه، واكتشاف نمط حياته و بساطته.

إضافة إلى مجموعة هذه العوامل فقد كان للأدباء أيضاً فضل كبير في بروز الملامح الأولى للرومانتيكية، من أمثال «جان جاك روسو» (J.J.Rousseau) الذي كانت روح الرومانسية تسري في مؤلفاته من قبل أن تولد الرومانسية، ويبدو أثر ذلك في كتبه «إيميل والاعترافات وأحلام المتجول الوحيد»، فقد كان روسو يؤمن بالعقل والفكر والجدل، ولكنه انعطف نحو الغريزة والإحساس الفردي، وحس الطبيعة والأحلام والتملص من القيود الاجتماعية، وكان يرى أن الإنسان طيب بفطرته والمجتمع هو الذي يفسده... أما مدام دوستيال (Mme De Staél) (1766-1817)... ففي كتابها (من الأدب) بينت أن الحرية أساس التقدم، لذلك كانت تبحث في كل عمل أدبي قديم أو حديث عن توهج الحرية أو خمودها... وتضمن كتابها (من ألمانيا) 1800م، فصولاً نقدية في الشعر والرومانسية

¹ المرجع السابق. ص: 29-30

وأخرى في النقد عند ليسنغو شليغل، وعرفت القراء الفرنسيين الشعراء الألمان مثل غوته وشيلر والأدباء الروس والإنجليز...¹ أما "روسو" فقد دعا إلى الطبيعة والهروب إليها باعتبارها تمثل النقاء والصفاء.

فقد رأت "مادام دوستايل" في الشعراء الألمان والإنجليز كل ما يجسد الحرية والثورة على القديم، ومصارعته بمبادئ جديدة، فتأثرت بمبادئهم وأفكارهم، لينعكس ذلك على كتاباتها، وكان للشعراء الرومانتيكيين الإنجليز أثراً كبيراً في انتشار الرومانتيكية خاصة في فرنسا، فقد وجدوا صدئ عميقاً لكتاباتهم خاصة من الطبقة البورجوازية.

كما رافق هذه العوامل عامل مهم يتمثل في "الانقلاب الصناعي"، من اختراع للآلات وصهر للحديد...، لكن الشيء المميز الذي نجده في كتابات الرومانتيكيين المعاصرين لهذا التطور والتقدم الصناعي، عدم وجود أي وصف أو شرح أو ذكر للآلة « وإنما نجد فيها مناجاة البلبل والرياح وأحاديث الحب السعيد، والحب الشقي ونجوى الطبيعة بغاباتها وجبالها، وأفلاكها المضطربة، وتحليل الأماني البشرية والمخاوف البشرية في صراع البشر مع الآلهة وأنصاف الآلهة، فأين المصانع من كل هذا؟² هذا راجع إلى اهتمام الشعراء بالإنسان ومشاعره وحقوقه وإهمال الجانب المادي الذي أخذ يتطور بشكل سريع لتحتل الآلة محل الإنسان، وتدمر ذاتيته، أراد الشاعر الرومانتيكي أن ينهض بالفرد المضطهد، فيرجع به إلى أحضان الطبيعة، ومعانقة قوة رياحها التي تبعث فيه روحاً حاملة هائمة في بحارها ومحيطاتها، مهاجرة مع طيورها.

نشأت الرومانتيكية في فرنسا لتكتسح جميع أرجاء القارة الأوروبية، بفضل عوامل كثيرة ومتعددة ساهمت في تطورها بداية بالثورة الفرنسية الكبرى ومبادئها الثلاث، الحرية العامة، المساواة والعدالة، التي زرعت في قلب كل تواق للحرية، حب التحرر ومناجاته.

¹ ينظر: عبد الرزاق الأصفر. المذاهب الأدبية لدى الغرب. ص: 43.

² شيلي. برومثيروس طليقاً. تر: لويس عوض. ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987. ص: 6.

إضافة إلى ما خلفته الحروب المدمرة من تمزقات نفسية وخيبات أمل متتالية، دفعت بالنفس البشرية إلى الاكتئاب، وفقد الثقة في المثل الأعلى، ليكون للرحلة دافعاً كبيراً في بروز ملامح الرومانتيكية من خلال التعرف على الآخر والذهاب إليه، واكتشاف أشياء جديدة، متمثلة في سحر الشرق، هذا الأخير الذي كان له دوراً كبيراً في دعم معتقدات الرومانتيكية من تمجيد لسلطان القلب، إضافة إلى روعة ليلاليه، وسحر طبيعته الخلابة الدافئة الفاتنة.

عاد الرحالة إلى أوطانهم بنظرة مغايرة للمجتمع وواقعه الأليم، محاولين التغيير في قواعده المنتهكة لحقوق الفرد. كما كان للترجمة دوراً كبيراً في نشر مبادئ الرومانتيكية في أقطار القارة الأوروبية، نتيجة لتأثر الأدباء والقراء الرومانتيكيين بترجمة "غالون" (gallon) للكتاب السحري "ألف ليلة وليلة" الذي كان صداه عميقاً في نفوسهم.

كانت هذه العوامل بمثابة الموجة التي دفعت كلاً من الشعراء وقراءهم إلى اعتناق الرومانتيكية، والتمسك بمبادئها الجديدة، والتي من شأنها أن تخرج الطبقات المضطهدة في المجتمع من ظلمات القهر والتهميش والاستبداد، إلى بحر النور والتحرر من قيود الماضي المرهقة لأرواحهم المنهكة، فتطورت الرومانتيكية عبر فترات متتالية، شهدت العديد من التغيرات الاجتماعية والسياسية والتاريخية، إلى أن أصبحت مذهباً أدبياً له أنصاره ومبادئه وأفكاره المميزة له، مذهب الإبداع والخلق والحرية.

ج- الخصائص:

انبثقت الرومانتيكية من أحشاء العصر، وليدة تغيرات سياسية واجتماعية وتاريخية شهدها القرن الثامن عشر في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، لتنتشر في ربوع العالم ككل كمذهب أدبي له خصائصه التي تميزه عن غيره من المذاهب الأدبية الأخرى، وأول هذه الخصائص:

1. الذاتية:

أعطت الرومانتيكية للشاعر المبدع جلّ الاهتمام، ذلك الرومانتيكي الذي ينطلق من تجربته الخاصة، بعيداً عن الجماعة وقوانينها وعاداتها المملة «فالأدب الذاتي هو الذي ينبع من فكرة الكاتب الشخصية عن الحياة، فإذا عالج فنان ذاتي موضوع الحب فإنه يعالجه من زاوية تجربته الفردية، وليس من زاوية التجربة الجماعية، والأدب الذاتي من الناحية الشكلية أدب أنشئ ليعبر عن الذات، لا ليصور الحياة، فالذاتية في الأدب هي نوع من الحرية»¹ فالشاعر الرومانتيكي يطلق العنان لنفسه فتعبر بحرية مطلقة عما يعتريها من مشاعر الحب الحزن، الألم،... بعيداً عن رقابة الجماعة.

فتفجر ينبوع المسكوت عنه داخل المجتمع، فيخلق الوجدان ليلبغ ما يجب أن يكون ويطرح الكائن في غيابات الحب، بعيداً عن أفقه، فيصور الرومانتيكي ما بداخله من حنين وشوق وألم وتفاؤل وتشاؤم وحرقة، خارج إطار ردة فعل الجماعة، فتسقط هذه الأخيرة.

تحتضن الرومانتيكية كل ذاتي تائر، وتسمو به إلى سماوات الحرية الفردية الرومانتيكية، « وهذه الرومانتيكية لها خصائصها تتجلى على الأخص في عدم الرضا بالحياة في عصرهم، وفي القلق أمام عالمهم وما يعج به من أحداث وفي الحزن الغالب على أنفسهم في كل حال أن يجدوا له سبباً، وهذه الحال ناشئة من عدم توازن القوى النفسية عند هؤلاء الذين طغى الشعور عليهم بذات أنفسهم طغياناً دفعهم دفعاً إلى النقمة على كل ما هو موجود والتطلع إلى ما لا يستطيعون تحديده خاصة في عالم السياسة

¹ جيهان صفوت رؤوف. شيلي في الأدب العربي في مصر. ص: 35.

والخلق والأدب»¹ فيلجأ الشاعر الرومانتيكي إلى الإبداع والخلق. ويفرغ شحناته في صرخة عالية، يشكل صداها ثورة على القوالب الشعرية القديمة، متمردة على القوانين الفنية التي فرضتها الكلاسيكية.

الشاعر الرومانتيكي قام بقلمه وذاتيته الثائرة المشتعلة بنار خلفتها استكانة المضطهدين واستسلامهم وخمودهم، فأرادوا بشعرهم أن يرموهم بحجارة الانعتاق والانفلات والانطلاق من جديد، الوقوف في وجه الظالمين، تفجير صخرة الطبقة العملاقة، التي حجبت عنهم نور الحرية المطلقة.

كان الشاعر الرومانتيكي محور العملية الفنية بإبداعه وابتكاره، فيقول للإنسان: أنت سيد نفسك ! « وهكذا كان الرومانتيكيون، فهم يثورون على نقص مصيرهم بالموت وعلى اضطراب حياتهم في عالم يسوده الشر، ولذلك ثاروا على أسباب هذا الشر فيما وراء الحدود الإنسانية، إذ لم يروا في الحياة سوى ألوان من العذاب خاتمتها الموت»⁽²⁾، فينطلق في دنيا الأحلام بعواطف ملتهبة، بعيداً عن جفاف الواقع، وسلطة العقل، فيخترق المؤلف برمح الغرابة، ويندفع إلى كل ما هو غريب، ليحتضنه، عساه أن يجد فيه ما تصبو إليه نفسه ولم تدركه، في دنيا الواقع الجامد.

يظهر لنا من هذا أن الشاعر الرومانتيكي يهرب من واقعه ومجتمعه بمشاعره وخياله المجنح إلى واقع آخر، إلى عالم آخر فيتفاعل بعد أفضل، وينفر ويتشأم من حاضر حقه أجنحة الظلم وحطمت قوالب النمطية.

2. الطبيعة :

الأم الرؤوم الحنون، التي تمثل النقاء والصفاء والعطاء والفطرة السليمة، التي يهرب إليها الشاعر الرومانتيكي وقارئه لأنه « كان يشعر دائماً أنه مضطهد من كل من حوله ولذلك فهو في الطبيعة يجد الحماية والطمأنينة بعيداً عن رياء المجتمع وزيفه، لقد كان

¹ محمد غنيمي هلال. الرومانتيكية. ص 47.

² المرجع نفسه. ص: 136.

يؤمن أن الإنسان ولد خيراً وطيباً، ولكن المجتمع هو الذي يفسده فعليه أن يعيش سعيداً...»¹ . ينطلق من الطبيعة ويعود إليها، يصارع أمواجها ويتعلم منها، يغرق في بحرها، وينبعث من براكينها.

يبدو أن الرومانتيكية هي المذهب الأدبي الذي يحمل في أعماقه الثورة والتمرد على المجتمع، وعلى الأدب والأدباء، فيحرر الشاعر من قيود فنية سائدة أثقلت كاهله وحرمته الحرية في التعبير عن مشاعره بتلقائية وعفوية، في حلة جديدة ثائرة، لم تعرف من قبل متأرجحا بين الواقع والحلم، هذا الأخير الذي سافر فيه بحثاً عن شيء - بل أشياء لم يدركها في واقعه- بأسلوب أنيق وعبارات سهلة واضحة ولغة بسيطة بساطة جمال الطبيعة الخلاب.

حملت الرومانتيكية في رحمها نشدان الجمال والبحث عنه والولوع بالغريب والغامض، كما دعت إلى فصل الدين والأخلاق عن الأدب والإبداع، والعزف على وتر المحلية مطلقة العنان للعواطف: ثائرة، حزينة، متمردة، كئيبة نتيجة لزنزانة الجماعة الحالكة الظلام، فيحطم أسوارها الفرد الشاعر الرومانتيكي الذاتي، بشهب الأمل والتفاؤل ليصبح الإنسان سيد نفسه متعلقاً بنجوم التحرر، حراً في مشاعره، في تعبيره، يقوده نهر الخيال بعيداً إلى حياة جديدة من صنع الشاعر الرومانتيكي.

¹ آمال فريد. الرومانسية في الأدب الفرنسي. ص: 07.

الفصل الأول : شيللي (Shelley) والشابي

أولاً: شيلي :

أ.حياته

ب.البيئة السياسية و التاريخية في إنجلترا في عصر شيللي

ج.أهم الموضوعات التي تناولها شيللي في شعره:

•الطبيعة

•الحب

•الموت

ثانياً: الشابي:

أ.حياته

ب.البيئة السياسية و الاجتماعية في تونس في عصر الشابي

ج.أهم الموضوعات التي تناولها الشابي في شعره:

•الطبيعة

•الحب

•الكآبة

أولا : شيللي بيرسي بيتشي " Shelley Percy Bysshe "

أ- حياته: [1792-1822]

يمثل شيللي في الأدب الإنجليزي صرخة الشعب ومنبر أصواتهم الخائفة الحزينة، قام في وجه الظلم والاستبداد، يرتل أناشيد الثورة بلحن يشع منه الدفء تطوقه السكينة والوقار .

كان شيللي زهرة حمراء في حديقة الأحزان، ولد في شيلي ناحية من ضواحي "سيكس" وتلقى تعليمه في "أتون" ثم في الجامعة بأكسفورد، وبدأ ينشر الأشعار والقصص الخيالية وهو ما يزال في الثامنة عشر من عمره، وفي عام 1811 نشر كتيباً حول "ضرورة الإلحاد"، أدى إلى طرده من جامعة أكسفورد، وفي عام 1814 غادر شيللي إنجلترا وتوجه إلى أوروبا، وهناك التقى بالشاعر "بايرون" 1816 وتوطدت علاقة الصداقة بينهما...¹ يبدو من هذا أن نزعة التمرد والرفض تسري في دم شيلي منذ الجامعة وحتى قبلها.

ترعرع شيللي في أحضان عائلة متكونة من أب وأم وأخ واحد وخمس أخوات، «كان أبوه ثرياً متغطرساً لا يهتم إلا أن يزرع ضيعته ويسيء معاملة كل من اتصل به، أما والدته فقد كانت من أقرباء أبيه جميلة عطوفاً طيبة، تهوى كتابة رسائل إلى أفراد أسرته. منذ هذا المولد نلمح أشباح القيود والحدود تلتف حول شيلي، كان لشيلي أخ واحد وخمس أخوات فغلب على البيت جو الإذعان والخضوع لهذا الأب القاسي، وفي نفس الوقت دفع شيللي إلى أن يلتصق الحنان عند أخواته، فازداد رهافة حس وانغمس في هذا الجو النسوي، بكل ما كان يحفل به من قصص خيالي...»² كانت أخوات شيللي مصدر الإلهام بالنسبة إليه، ومنبع الحنان والعطف الذي يخفف عنه قسوة الأب؛ بحث شيللي عن شيء يريحه ويحمل أقال قلبه الحزين معه « فلم يلتصق سوى دمعات التعاطف وخفقات الحب من فتاة اسمها "دهاربيت ويتسبروك"، ونام تحت ظل أهدابها، يحلم بجزيرة تسكنها ملائكة

¹ صالح لمباركية . الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية. دار فانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007. ص:110.

² جيهان صفوت رؤوف. شيلي في الأدب العربي في مصر. ص:65.

وليس وحوش بشرية... شيللي يقرر أن يتزوجها وينقذها من العذاب، ولم يستمر زواجهما طويلاً، لأن شيللي يرى العالم ألواناً من السحب والغيوم في حالات من الفكر العميق، ولم تفهمه فتاته وانفصلا، عشق فتاة اسمها "ماري" وسافر معها في رحلات إلى سويسرا، وفي ليلة حزينة علم بانتحار زوجته "دهاربيت" تاركة له أبناءها... ولكن المحكمة رفضت أن ترد له الأبناء لسوء سلوكه»¹، هذا ما دفع شيللي إلى السخط على المجتمع وقوانينه المتحجرة، وضميره النائم، ومشاعره الجامدة فزاد هذا من معاناته...

كانت مسيرة شيللي الأدبية والفنية قصيرة قصر عمره، فقد توفي ولم يتجاوز التاسعة والعشرين بعد، «مات غرقاً بينما لا يزال يتنزه على مركب في البحر الذي أحبه كثيراً ومن سخرية القدر أنه كان لا يزال منهمكاً في كتابة قصيدة بعنوان "انتصار الحياة" التي لم تتح له الأيام إكمالها، وقد وجد في جيبه كتابين أحدهما لسوفوكليس، ولم يمنعه أصله الأرستقراطي من اعتناق الأفكار الثورية ورفض الظلم والتصنع وتجاوز حدود الوطن إلى رحاب العالم الأوسع»² يظهر من هذا أن شيللي لم يفارق الكتابة ونظم الشعر حتى في الدقائق الأخيرة من حياته، وهو مؤمن بأن الحياة ستنتصر في النهاية. رغم جبروت وظلم القوانين الصارمة التي خنقت أنفاسها.

شيللي عاصفة متأرجحة بين الحزن والفرح، بين التفاؤل والتشاؤم صقر الحرية ولسانها قمر يضيء سماء التمرد والرفض، يعج شعره بالطاقة القوية والمتوحشة، التي ستقف إلى جانب كل مظلوم مضطهد، في وجه المستبد الغاشم، الموجة الغاضبة التي دمرت جدران المألوف وحطمتها، ورفعت راية الصمود والمواجهة، كان شيللي منذ نعومة أظفاره ناقد على الواقع وقهره للضعيف، صاحب إحساس مرهف يشجع كل من يلح فيه ملامح شعرية ثورية، ليدعمه مادياً ومعنوياً. صحيح أنه لم يعيش مدة طويلة من الزمن، لكن إنتاجه الشعري الثوري، خلد اسمه، ونسج حروفه من ذهب على صفحات التاريخ.

¹ علي عبد الفتاح . أعلام في الأدب العالمي. ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1999. ص:88.

² صالح لمباركيه. الآداب الأجنبية القديمة و الأوروبية. ص: 10

ب- البيئة السياسية و التاريخية والاجتماعية في إنجلترا في عصر " شيللي " :

شهدت الفترة الواقعة بين (1688-1832) من تاريخ إنجلترا. أي الفترة الواقعة بين الثورة العظيمة كما يسميها الانجليز، أي القرن الثامن عشر بأكمله مع القليل من الامتداد في طرفيه، نشوب الثورة الصناعية فتحوّلت إنجلترا من حالٍ إلى حال، لم تكن ثورة بالمعنى العنيف الذي توحى به الكلمة، حدثت في قرن كامل، فكان عماد التغيير الذي حدث والاختراع الآلي على نحو لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانية، وكان أساسه تحول اقتصاديات إنجلترا من اقتصاديات زراعية إلى اقتصاديات صناعية.¹

وعرفت هذه الفترة اكتشاف الكهرباء، واختراع الآلة البخارية وتأسيس بنك إنجلترا وإعلان حقوق الإنسان، وضم الهند إلى مستعمرات التاج البريطاني وانفصال أمريكا عن مستعمرات التاج، وتربية الماشية على نهج علمي، وخروج الأفكار الاشتراكية إلى الوجود، وفوق هذا وذاك شهدت هذه الفترة من تاريخ إنجلترا ظهور الطبقة المتوسطة التي تعرف بالطبقة البورجوازية* على نطاق واسع زلزل المجتمع الإنجليزي من أساسه وبذل معالمه.

كانت أوروبا مزرعة كبيرة يملكها أمراء ويفلحها عبيد، وإن ثقافة العصور الوسطى لم تكن بوجه عام إلا ثقافة ريفية خالصة، فالريف فقير بطبيعته، محافظ بطبعه، شديد التدين ضيق الدين لا مجال فيه للعلم ، إذ لا يسمح بالعلم لأن العلم من شأنه أن يغير الأفهام ويوضح الحقوق فيبذر بذرة التمرد في النفوس...

كما ظهر مذهب الأحرار في السياسة أو ما نعرفه اليوم بالديمقراطية ولكنه لم يتخذ شكله الفلسفي، وقوته الكبرى التي نعرفها عنه الآن بالانقلاب الصناعي، كان قادة الأحرار

¹ ينظر: برميثوس طليقاً . شيلي. تر: لويس عوض. ص: 8

* أي ساكنة: "البروج" وهي المدينة ، أو (البندر) وأول خصائصها الفردية، فالفرد البورجوازي عصامي يمتلك قوة قاهرة تفرض نفسها على المجتمع، وتخضع ظروف الحياة لإرادتها.

من التجار يطالبون بجميع الحريات التي تطالب بها الديمقراطية، قالوا: أولاً إن الناس بشرية الطبيعة، أو بقانون الله قد ولدتهم امهاتهم متساوون لا فرق في ذلك بين ابن الأمير وابن الصعلوك...¹ .

ج-أهم الموضوعات التي تناولها شيللي في شعره:

1- الطبيعة

كانت الطبيعة في شعر شيللي تمثل الأم الرؤوم، التي تشارك ابنها إحساساته وتتفاعل معه، فتحزن لحزنه، وتفرح لفرحه، فنراه يعانق الطبيعة وعناصرها، ليولد شعره بين السحب، وفي غصن الشجر وتحت وريقات الزهر.

وجد شيللي في قصيدة له بعنوان " الكآبة" أو " الطائر المترمل" يقول:

"جلس طائر ارمل حزينا على الحبيب فوق فرع الشتاء

و كانت الرياح الباردة تهب من فوقه

وكان المجرى المتجمد ينساب من تحته

ولم تكن في الهواء حركة

سوى أزيز عجلة الطاحونة"²

تعكس هذه الأبيات كآبة وحزن شيللي من خلال طيره الذي فقد وليفه وأنيسه، فجلس وحيدا على غصن شجرة يبكيه، ولم يجد عزاء له سوى الطبيعة، فكانت الرياح باردة برودة مشاعره، وحبست أنفاسه حركة الهواء في سجن وحدته العتيق، ففقدت الأرض أزهارها التي هي رمز سعادتها وبهجتها، كما فقد الطير حبيبه.

يبدو من هذا أن شيللي جعل من الطبيعة شريكا له، يقاسمه أحزانه وآلامه ففقدت الغابة الزاهية كل مظاهر الفرح والسرور، وتحولت بفقدان طيره لحبيبه، غابة حزينة فقيرة نسجت حولها خيوط الوحدة والجماد، فلا حركة في الغابة إلا صوت أزيز

¹ ينظر: برومثيوس. شيللي. تر: لويس عوض. ص: 8-11.

² حسن أبو الذهب. "شعر شيللي". مجلة السياسة الأسبوعية، مصر ، 18 يناير 1930، ص: 02. www.hindawi.org

الطاحونة، الذي يعكس سيطرة وهيمنة الآلة في عصر شيللي في أوروبا نتيجة الثورة الصناعية.

2- الحب:

كان شيللي مرهف الإحساس، رقيق المشاعر، قوي العواطف، ضعيفاً أمام المضطهدين والفقراء، يتألم لألمهم، صلب صلابة الفولاذ مع الطغاة، حاملاً في صدره قلباً أثقلته هموم الشعب المستسلم الخاضع، والحاكم المتجبر، فلم يجد أحداً يحمل عنه هذه الأثقال سوى " الحب" الذي كان الصدمة الكهربائية التي أعادته للحياة.. ! يقول شيللي في قصيدة له بعنوان : "إن نظراتك عندما تبتسم بالحب" !

إن نظراتك عندما تبتسم بالحب
تكاد تبث الحياة في المرمز الصلب
وتجعل النبض يدب في عروق الصخور
إن الأحلام لتتحول من حولي إلى كائنات
إذا استطعت أن أقرأ في عينيك
لا ورا... لا ورا حبيبي¹

يبدو من هذه المقطوعة الشعرية أن شيللي العاشق كان مرمراً صلباً، ونظرات عشيقته هي التي ستعيده للحياة، فينبض قلبه بنبضات الحب والهيام، في عروقه المتحجرة بعد أن كان صخرة متجمدة فقدت الأمل في الحياة، فأتى الحب وبعث فيه نبض التجدد والاستمرار فتجسدت وتحررت أحلامه على شكل كائنات، همست بولادتها نظرات الحبيبة.

¹ نزار السراطوي. "الرومنسية في شعر شيللي". مجلة الثقافة الأسبوعية، الإمارات، العدد 10

3- الموت :

تأثر "شيللي" كثيراً بموت صديقه "جون كيتس" (John Keats) ¹ صوت الحرية المضطهدة، فنسج قصيدة بعنوان "أدونيس" ² يرثي فيها كيتس الذي خطفه الموت، وهو لا يزال في ريعان شبابه، يقول "شيللي" :

سلاماً سلاماً، إنه لم يمّت ولم يرقد

... لكنه استيقظ من حلم الحياة

إننا نحن الذين أضعنا في العجاج الرؤية

نحتفظ بأوهامنا، كفاحنا اللامجدي....

... إننا نتفسخ مثل جنث في مقبرة

الخوف والحزن يهزنا ويستهلكنا يوماً بعد يوم

... وآمالنا الباردة تتزاحم كالديدان في طينتنا الحية ³

يظهر من خلال هذه الأبيات أن شيللي رفض موت "كيتس" واعتبره حياً استيقظ من حلم الحياة، كما اعتبر الأحياء هم الأموات الذين تفسخت جنثهم في مقبرة الحياة جراء الظلم والقهر والاستبداد المسكوت عنه، كما اعتبر آماله باردة لأنها صعبة المنال في دنيا الطغاة فأصبحت كالديدان تتزاحم، ولكن في طينة الحياة والأحياء، التي بدلت سنة الحياة وسنة الكون ليصبح الحي ميتاً والميت حي، استيقظ من حلم كان واقعه مزعج، ليعيش حياة أفضل وأجمل.

¹ شاعر انجليزي، شاعر الأعماق الساكنة والتأمل في الطبيعة البريئة، منحرف إلى الماضي، صوت التمرد القادم من الأعماق السحيقة...

² اسم أسطوري يوناني قديم، و هو ابن "أورانيا" شغل أدونيس بالصيد عن الحب، كما شغل كيتس بالشعر عن مناهج الحب و الحياة .

³ تيسير كاملة، "أدونيس شيللي"، مجلة التحرير، مصر، العدد 12، ص:10.

أ- حياته :

يعتبر الشابى شاعر تونس الخضراء، الشعلة الملتهبة فى الشعر العربى الحديث رفض الاستسلام و الخنوع لكل الظروف التى من شأنها أن تثبط تفجر قريحته الشعرية الثائرة. « ولد بالشابية إحدى ضواحي «توزر» التونسية- فى الرابع والعشرين من شهر فيفري 1909، تبدأ رحلة الشابى الابن، حيث تنقل منذ طفولته الباكرة فى شتى أنحاء القطر التونسى، مرافقاً أباه فى تنقله بحكم وظيفته بين مختلف المحاكم الشرعية، وحفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، فكان ذلك إشارة إلى نبوغه المبكر، ورافق ذلك تلقيه مبادئ العلوم العربية والدينية عن والده»¹. يبدو من هذا الشابى كان شديد التعلق بأبيه حيث لازمه فى جميع تنقلاته، فلم يكن يعرف الاستقرار فى مكان واحد، بل تنقل وتعرف على كل الأقطار التونسية وتمتع بجمالها الساحر.

كان الشابى شغوفاً بالمطالعة عاشقاً للإطلاع، الشيء الذى ورثه عن أبيه، الذى توفي سنة 1929، فشككت وفاة الأب المحبوب صدمة كبيرة لدى الابن البكر العطوف الذى لازم أباه وتعلق به، ليحمل على عاتقه أعباء مسؤولية إخوته الصغار وأمه - رغم صغر سنه - « وما لبثت موهبته الشعرية أن تفتحت وهو لم يزل فى الثانية عشر من عمره فجمع إلى الثقافة العربية الصرفة نوعاً حديثاً من الثقافة الغربية التى عني بها أصحاب مدرسة الديوان كالعقاد والمازنى وشعراء المهجر بنزعتهم الرومنسية فتأثر بهم خاصة بشعر جبران خليل جبران، وفتح ذلك له الباب أمام شعر لامرتين وشيللي وبايرون...»² وقد انعكس تأثر الشابى بشعراء الديوان وشعراء المهجر الحاملين للثقافة الغربية على شعره، ليحول وجهته فى الكتابة الإبداعية من الكلاسيكية إلى الرومانتيكية لتتجسد جميع مظاهر هذه الأخيرة فى شعره.

¹ عبد العزيز النعماني. أبو القاسم الشابى رحلة طائر فى دنيا الشعر. ط1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997. ص: 21.

² فايز علي. الرمزية و الرومنسية فى الشعر العربى. ص: 395. www.kotobarabia.com .

لم يكن الشابي يجيد اللغات الأجنبية، إلا أنه تعرف على الأدب الغربي المترجم للعربية والفضل في هذا يعود لشعراء المهجر، ولكن على الرغم من محدودية معرفته بالرومانتيكية وأعلامها الكبار ومؤلفاتهم إلا أنه خاض تجربته الشعرية بروح ناثرة متمرده، تطمح إلى التغيير والتجديد، متحررة من أعباء الكلاسيكية وقيودها الثقيلة التي تكبل أجنحة الخيال وتقيد أنامل الشاعر النائر، ففجر صخرة القديم، ورأى أن ينسج الحاضر والمستقبل بأنفاسه المنهكة وبموهبتة الشعرية الحاملة بالتجديد.

أنهك المرض جسد الشابي الشاب الأسمر النحيف، « ففي عام 1928 بدأت طلائع المرض ترهق الفتى الشاعر وكانت كامنة غير واضحة عليه يغالبها شبابه المندفع، ونموه الأدبي المتواصل، ولكن الأحداث سرعان ما حولت الحيوية إلى خمود وبدأت في إطفاء الشعلة المتوهجة، فقد تعب قلبه ولم يعد قادراً على القيام بوظيفته»¹ ورغم ذلك بقي يتغنى بتلك الأوجاع، يعتز بنفسه، يعبر عن الواقع المرّ وآلامه، إلى أن توفي فجر يوم الاثنين من شهر أكتوبر 1934.

ب- البيئة السياسية والاجتماعية في تونس في عصر الشابي :

عزف الشابي على وتر الشعر السياسي التحرري، نتيجة لفترة الاستعمار الفرنسي التي عاشتها تونس في عصره، التي تميزت بقهر الشعب واغتصاب الأرض واستنزاف خيراتها، هضم حقوق الإنسان وإعدام حريته، فقد عانى الشعب التونسي الظلم والقهر والنهب والتعذيب « فلقد عاش الشابي في الثلث الأول من قرننا بين سنتي 1909 و1934 في إطار تاريخي تميز بفترة ما بين الحربين والتأزم الاقتصادي العالمي وقد كان العالم العربي الإسلامي، يرزح تحت كابوس الاستعمار، يدفع جزية التأزم السياسي والاقتصادي، على أن هذا الثلث الأول من القرن العشرين قد تميز ببروز يقظة الوعي القومي في المجتمعات المستعمرة»² ولعلّ الفضل في هذا يعود إلى نفخات الشابي أيضاً

¹ عبد العزيز النعماني. أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا الشعر. ص: 26

² عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون. ط4، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993 ص: 14.

التي حملت معها أنفاس الثورة والتمرد على القيود التي استعبدت الإنسان واستباحته
دماءه، وزجت به في ظلمات القهر والتكيل، فبعث بروحه حب الحرية والتحرر
والانبعاث من جديد، فنزع الشعب ثوب الاستسلام والخنوع، وارتدى ثوب الشجاعة
والإقدام.

ج- أهم الموضوعات التي تناولها الشابي في شعره:

1- الطبيعة:

أحب الشابي الطبيعة، الأم الرؤوم، تغنى بعناصرها، فعانقت روحه سماءها وامتزجت
مشاعره بأمواجها، وسافر خياله على أجنحة سحبها ليستنطقها بما يحس من آلام
وآمال الأفراح وأحزان، إذ كانت الطبيعة المتنفس الوحيد له، باعث أحلامه وروحه فنجدته
يقول: "أما ذهبتم في يوم من أيام الربيع الحاملة إلى بعض ضواحي المدينة حيث البرية
المهتزة الناضرة والغاب الأنيق الجميل؟ أما رأيتم ذلك البلبل الأنيق المتنقل بين الغصون
المورقة، يترنم بأغاريده الرقيقة السجّية؟... ثمّ أما أحسستم إذ ذاك وأنتم بين أحضان
الطبيعة بذلك الشعور القوي الغامض الثمل يستحوذ على مشاعركم، ويستولي على
نفوسكم، فيجعلها أدنى إلى الخلود منها إلى هذا العالم الفاني¹، يبدو من هذا أن الشابي رأى
في جمال الطبيعة مصدر إلهام، ومنبع السعادة التي تبعث في كل جامد روحاً حاملة أنيقة
مغردة كالبلابل، إذ أن الطبيعة في نظر الشابي تعطي القوة والصلابة، كما اعتبر الشابي
الطبيعة هي عالم الخلود النقي، وأن هذا العالم هو عالم فاني زائل ضعيف.

بيت، بنته لي الحياة من الشذى	والظل، والأضواء، والأنغام
بيت من السحر الجميل، مشيّد	للحب، والأحلام، والإلهام
في الغاب سحر، رائع متجدد	باق على الأيام والأعوام
وشذى كأجنحة الملاك، غامض	سأه يرفرف في سكون سام
وجدّاول، تشذو بمعسول ألغنا	وتسير حاملة، بغير نظام ²

¹ أبو القاسم الشابي. الخيال الشعري عند العرب. ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2013. ص: 17.

² محفوظ كحوال. أروع قصائد أبي القاسم الشابي. ط1، نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012. ص: 159.

نلمس في هذه الأبيات سحر الطبيعة واندماج عناصرها مع روح الشاعر، إذ جعلها بيته الذي شيدته الحياة، بيت من سحرها وجمالها، ذلك السحر المتجدد الذي لا يزول ولا يبلى، يتجدد تجدد الأيام والأعوام، يرى الشابلي كذلك في الجداول أحلامه تسير في كل الاتجاهات، دون قيود وكأن الطبيعة بعناصرها هي البيت الحقيقي الذي صنعه خياله، ليجد فيه راحته وتتجسد فيه مشاعره وإحساساته النقية نقاء وصفاء الطبيعة.

2- الحب:

عاش الشاعر تجربة عاطفية عنيفة، عنف الموت الذي سرق منه حبيبته وتركه وحيداً في دنيا الأحلام، تزوج الشابلي ليحقق رغبة أبيه لكنه لم يعرف طعم الحب إلا مع الفتاة التي اختارها قلبه، فكانت حبه الأول ولكن هذه التجربة ما لبثت أن باءت بالفشل لأن حبيبته فارقت الحياة في ربيع العمر، فكانت الصدمة الكبرى التي زعزعت صدر شاعرنا وحطمت نفسيته، عادت عليه بالحزن والأسى والضجر، فراح فؤاده يبكيها قائلاً:

في الدياجي

كم أناجي

مسمع القبر، بغصات نحبي، وشجوني

ثم أصغي، علني أسمع ترديد أنيني

فأرى صوتي وحيداً !

فأنادي :

يا فؤادي

" مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضم الحبيب "

فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب "

" ابك يا قلب وحيداً "¹

¹ المرجع السابق، ص: 57.

يظهر من هذه الأبيات أن حزن الشابي كان كبيراً، إذ بقي وحيداً بعد موت وليفه يناجي القبر، ينادي فؤاده علّهُ يخفف عنه مصيبتَه ويكون أنيسه الذي يتألم معه جراء مأساة أنقَلت كاهله، وزادت من حدة أزِماته النفسية، نسج خيوطها موت الحبيبة، التي تركته وحيداً يصارع آلام وأحزان قلبه الضرير.

3- الكآبة:

عانى الشابي - بالرغم من صغر سنه - من أزِمات نفسية عديدة ومتتالية، أنهكت جسمه النحيف، وأتعبت قلبه الضعيف، ونسجت بظلالها بيوتاً من الأسى والحزن على ضفاف شعره، شيدت ممالك الكآبة في شعره، فارتسمت على محياه كآبة سوداء :

أنا كئيب

أنا غريب

كأبتي خافت نظائرها

غريبة في عوالم الحزن

كأبتي فكرة مغردة

مجهولة من مسامع الزمن

لكني قد سمعت رنّتها

بمهجتي، في شبابي الثمل

سمعتها، فأنصرفت مكتئباً

أشدو بحزني كطائر الجبل¹

استولت الكآبة على شعر الشابي، حتى أنها أصبحت تغرد كالطائر يسمع صوتها المضم وحده...، يشعر بالوحدة، لا أحد يشعر ويحس بآلامه، ليشاركه أحزانه، يعترف بحزنه وآلمه، وكآبته الغريبة الخائفة من نظائرها لأنها تختلف عنهم، فكآبة الشابي مميزة

¹ المرجع السابق، ص: 115.

ولدت من رحم الواقع المرير والشعب المستسلم، والاحتلال المدمر، والحببية المفقودة والجسم المريض المنهك.

تغنى أبو القاسم الشابي في ديوانه الوحيد "أغاني الحياة" بآلام شعبٍ مزقته الحياة فراح يصور الحياة التي ينشدها ويتمناها لشعبه بريشة خفيفة، في عالم بعيد نسج خيوطه بخيال واسع ونظرة تفاؤلية، لحياة وواقع متجدد، تجدد شروق الشمس كل صباح يوم جديد.

الفصل الثاني:

الثورة والتمرد بين شيللي
والشابي:

يعتبر التأثير والتأثر عنصرين أساسيين في مجال الأدب المقارن، إذ لا يمكن أن نقوم بعقد مقارنة دون إثبات : للصلات التاريخية، تأثر أدب بأدبٍ آخر، تأثير أديب في أديب آخر، خاصة إن لم يكونا تحت راية "اللغة الواحدة" لكن هل نهمل الجوانب الجمالية والفنية في هذه الآداب؟ هل سنعزلها عن المقارنة إذا كنا لا نستطيع البرهنة على وجود تلك الصلات التاريخية، والتأثر المباشر؟ هل سنحبس أنفاس الأدب المقارن في دائرة التأثيرات المباشرة والتاريخية؟ أم أننا سنبحر به في سماء التذوق الجمالي لهذه النصوص، التي ربما تشترك في ظواهر من شأنها أن تخدعنا، فنرى هذه النصوص تنبعث من روح شاعر واحد !

بعيدا عن سحب المدرسة الفرنسية ، وشروطها الصارمة نتجه نحو فضاء المدرسة الأمريكية التي أسس لها رينيه ويليك* (ReneeWillek) « وبالفعل تبنى الأدب المقارن أو المدرسة الفرنسية هذه الوجهة، أي وجهة التأثيرات المباشرة والتاريخية، أي التأثيرات المباشرة بالنسبة للعلاقات بين الدول، واستمرت هذه المدرسة في نشر وجهة نظرها هاته إلى حدود 1958، أي الفترة التي انعقد فيها مؤتمر "شابل هيل" أي مؤتمر الجمعية العالمية للأدب المقارن، وعلى إثر تدخل "رينيه ويليك"، وهو الأمريكي صاحب كتاب "نظرية الأدب المقارن" هذا التدخل الذي كان بعنوان "أزمة الأدب المقارن" والذي كان بمثابة إعلان عن فكرة المدرسة الأمريكية، وهي الفكرة التي انتقدت الوضعية التي كانت تركز عليها المدرسة الفرنسية بتاريخيتها»¹ فقد ضيقّت المدرسة الفرنسية أبواب المقارنة بين مختلف الآداب، لكن هذا لم يمنع تطور الأدب المقارن إلى أن أصبح يجمع في المقارنة بين الآداب والفنون الأخرى كالسينما والمسرح...

* ويليك رينيه، (1903-1995)، ناقد ومؤرخ أدبي أمريكي من أصل سلافي، ترك أثراً عميقاً في تطور النقد الأدبي الحديث، الدراسات الأدبية عموماً، لا سيما الدراسات المقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أجزاء كثيرة من العالم.

¹ سعيد علوش. المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن استمرارية للمدرسة الفرنسية، يناير 2008 ص: 01.

لننقد مقارنة بين كل من الشاعر الإنجليزي شيللي والشاعر العربي الشابي، من وجهة نظر المدرسة الأمريكية الجمالية، فنرصد الظواهر المشتركة بين شعرهما، ولعل أول ما جمع بين شيللي والشابي الاتجاه الرومانتيكي الثائر، إضافة إلى امتزاج روح الشاعرين بالطبيعة والذوبان في عناصرها، ليجمع بينهما أيضا شيء آخر - ذو أهمية بالغة - وهو المعاناة الفردية التي أحس بها كل من الشاعرين، وتمردهما عن القوانين السائدة - ومحاولة تحطيمها - ثورتهما على المجتمع وعلى أفراد المستسلمين إضافة إلى شعرهما الإنساني الذي يخاطب جميع أفراد البشرية، كما جمع بينهما تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية في عصرهما، والموت المبكر، فقد قطف شاعرانا في ريعان الشباب، ولم يتجاوزا الثلاثين سنة بعد.

عزف شيللي على أوتار الرومانتيكية الإنجليزية الثائرة، فكان المجاهد الأكبر الذي يحمل على عاتقه مسؤولية تحرير الإنسانية جمعاء من قيود الظلم، وشباك الاستبداد وكذلك كان أبو القاسم الشابي، معتنق الحرية ورسولها المباشر للبشرية، شاعر الأمة بشعره الثوري المميز الذي نفخ فيه من روحه المتعبة.

ولعل كل من شيللي والشابي يحملان نفس بذرة الثورة والتمرد في رحم شعرهما الثائر إلا أنه من الصعب تحديد تأثير الشابي بشيللي تأثراً مباشراً.. ليبقى الأمر المحتمل أنه قرأ شعره مترجماً إلى اللغة العربية، علماً أن الشابي قد تأثر بالشعراء المهجريين الحاملين لأنفاس الرومانتيكية الإنجليزية، خاصة "جبران خليل جبران"، الذي تأثر كثيراً بالشعراء الغربيين، لكن الأمر الذي دفعنا للجمع بين هاذين الشاعرين، هو تلك اللمسات المتمردة التي جمعت بين قصيدة أنشودة إلى الريح الغربية "ode to the west wind" للشاعر الإنجليزي شيللي، وبعض من قصائد الشاعر العربي الشابي "إرادة الحياة"، "النبي المجهول" و"نشيد الجبار".

تبدأ كل ثورة أدبية أو اجتماعية بتمرد - مهما كان نوع هذا التمرد - هذا ما جسده شيللي في قصيدته "أنشودة إلى الريح الغربية"، وشاركه في ذلك الشابي في ديوانه

"أغاني الحياة"، كان أول تمرد جمع بين الشاعرين يتمثل في التمرد على الكلاسيكية وقيودها الخانقة، التمرد على المجتمع وقوانينه الظالمة، فقد تمرد شيللي عند هروبه مع "دهاربيت" محطما قوانين الزواج التقليدي في المجتمع، وتمرد الشابي عندما جعل القدر مجرد استجابة لإرادة الشعب وتمسكه بالحياة :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.

اعتنق كل من شيللي والشابي الرومانتيكية، فكانت مظاهرها تتجسد بقوة في شعرهما إذ نرى روح شيللي تلتحم بالطبيعة، فراح يتغنى بعناصرها ليجعلها بيت أحلامه، وأجنحة خياله وشهب عواطفه، يناجيها فيقول :

أيتها الريح الغربية المتوحشة، يا أنفاس الخريف

من وجودك الخفي تساق الأوراق الميتة

مثل أرواح هاربة يطاردها ساحر

صفراء، وسوداء، وشاحبة، وحمراء قانية

مثل حشود منكوبة بالوباء يا أنت

يا من تحملين البذور المجنحة مثل عربة

إلى مثواها الشتوي المظلم

حيث تستلقي باردة هادمة.¹

يحاكي شيللي في هذا المقطع الطبيعة، تحت مظلة الرومانتيكية، على نهج الشعراء الرومانتيكيين، من خلال هروب الفرد المعذب إلى أحضان الطبيعة إلى فطرته السليمة فيصور عواطفه النائرة، على شكل لوحة رسمها بريشة الطبيعة القائمة الحزينة، بألوان شاحبة، وريح غربية خريفية تحمل بذورا ميتة، تلك البذور التي تجسد أفكاره، حين أحس بموتها وذبولها، استعار الريح وقوتها لتحملها عنه، وتأخذها إلى مثواها الحقيقي، ألا وهو

¹ إيداد ناصر، "دعاء إلى الريح الغربية، عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية" 2010/10/10، ص: 04. 7:00.10/05/2015. inassar98@hotmail.com

صدر كل إنسان تواقه نفسه للثورة والحرية والانعتاق، فتستلقي باردة هامة برودة و تجمد صدر كل ضعيف مستسلم.

مشى الشابي على درب شيللي تحت مظلة الرومانتيكية ، فكانت الطبيعة الملاذ الوحيد الذي يخفف عنه آلام صدره الموحجة، ويسافر به على بساط الانعتاق، الهروب من صخب المدينة وضجيجها، ومن قيود المجتمع، إلى الطبيعة العذراء النقية، فيرى روحه الثائرة تندمج مع عناصرها الغاضبة:

ودمدت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر
إذا ما طمحت إلى غاية ركبت المنى، ونسيت الحذر
ولم أتجنب وعور الشعاب ولاكبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر
فعجت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدر رياح آخر
وأطرقت أصغي لقصف الرعود وعزف الرياح ووقع المطر¹

جعل الشابي في هذه الأبيات عناصر الطبيعة: الرياح، الجبال، الشجر، الحفر، الرعود المطر...أنيسه ورفيق روحه الذي يفهم عليه، ويصغي إليه لتولد هذه الأبيات، عن امتزاج روحه بالطبيعة، كرسول نائر بتحديها وصرامتها، إلى كل مستسلم خاضع للقوانين الطاغية، فنقول له: حطمها وانطلق في سماء الحرية و التحرر، ..وما أجملها من سماء !
فيلتقي شيللي والشابي من جديد، عبر فكرة أساسية ألا وهي: الثورة والتمرد على الواقع وعن المجتمع، وواجب تحطيم قيوده البالية القديمة، فنرى تمرد شيللي قد صاحب الريح فجعل منها رسوله المباشر الذي يحمل أفكاره الثورية المتوحشة المتمردة إلى الآخر، نافثاً مبادئ الحرية، والانعتاق في كل إنسان لمواجهة الظلم والاستبداد، والوقوف في وجه القوي الذي يغتصب الضعيف ويستنزف دماءه، بثورة كاسحة وتمرد فتاك، يقتلع الخنوع من جذوره كما تقتلع الريح بقوتها وتمردا وجبروتها- ممثلا الطبيعة الأكبر أثناء

¹ أبو القاسم الشابي. أغاني الحياة. ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970. ص:240.

هيجانها وغضبها- كل هس فيذهب أدراجها، تلك الريح التي لا يستطيع الإنسان بقدرته الضعيفة مهما طغى تطويعها، فيخاطب شيللي الريح قائلاً:

أنت يا من بتيارها وسط اضطراب السماء العنيف
تدفعين الغيوم الواهية مثل أوراق الأرض الذابلة
فتهتز وتسقط عن أغصان السماء، والمحيط المتشابكة
ملائكة المطر والبرق! فتنشر عندها ضفائر العاصفة الآتية
فوق سطح هوائك الأزرق المندفع¹

فيشارك الشابي شيللي ثورته وتمرده عن الواقع وعن المجتمع، فقد أثقل جسمه النحيف، وزاد من معاناة قلبه المريض، بمسؤولية تحرير كل وطن من الاستعمار، بل راح ينادي بالثورة، يطالب بالحرية والمساواة، يندد بكل أشكال القهر والطغيان، فيجعل من شعره صورة ثورية حية، تجتمع فيها كل صور التحدي والإنذار والتهديد، فإذا هبت عاصفة أفكاره وعواطفه، رشقت بسهم القوة، كل ضعيف مستسلم للاستعمار وجبروته فيجعل منه إنساناً آخر ثائراً، يضع كل جبار هدف سهامه الملتهبة، بالسنة من لهب الصمود والمقاومة ليكون هو الجبار القوي قوة الصخرة الصماء، مستهزئاً بالطغاة قائلاً:

فاهدم فؤادي ما استطعت فإنه سيكون مثل الصخرة الصماء
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكاء وضراعة الأطفال الضعفاء
ويعيش جباراً، يحدق دائماً بالفجر..، بالفجر الجميل النائي

....

وإذا تمردت العواصف وانتشى بالهول قلب القبة الزرقاء
ورأيتوني طائراً مترنماً فوق الزوابع في الفضاء النائي
فارموا على ظلي الحجارة، واختفوا خوف الرياح الهوج والأنواء²

¹ إياد ناصر، "دعاء إلى الريح الغربية عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية"، ص: 05

² أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص: 257-258

لعل كلا من شيللي والشابي يؤمن بالتغيير، فقد كانت الرؤيا الجماعية الجامع الحقيقي بين هذين الشاعرين الرومانتيكيين الثائرين، إذ أن كلا منهما حاول أن يرشق برماح الحيوية والحماس، في عقل وقلب أبناء شعبه، فكان شيللي يرمز للحرية والانطلاق والقوة بالريح -الإيحاء على نهج الرومانتيكيين- فيتمنى لو أنه ورقة، سحابة، موجة، في ثوب من نسيج عناصر الطبيعة، يشع بالرقعة رقة أنفاس الموجة، والهدوء هدوء الورقة الميتة فتتكون هنا صورة الشاعر الرومانتيكي، الذي يسبح في بحر الرقة والعطف والحنان المؤمن بالتغيير الذي لمس في عناصر الطبيعة، فجاءت أمانيه تقول:

لو أنني كنت ورقة ميتة تحملينها

لو أنني كنت سحابة سريعة تطير معك

أو موجة تتنفس تحت قوتك، و تشاركك

نبض قوتك، ولكن أقل حرية

منك أيتها المتمردة¹

أحس الشابي بقوة تدفعه نحو التغيير الجذري، في مجتمع كبلته قيود الجهل، وأرضخته سيوف الظلم، فراح يخاطب شعبه بألفاظ قوية متوحشة- عكس رقة ألفاظ شيللي- ليستنهض همهم، ويغير بل يقتلع أفكارهم السلبية من الجذوع (فأهوي على الجذوع بفأسي)، التمس من الطبيعة كل قوي، واستعار منها سيولها الجارفة التي من شأنها أن تدمر كل دفين، محبوس في صدر الضعفاء، فجعل من السيول والرياح والشتاء والعواصف أدواته القوية، التي ستحمل أفكاره إلى شعبه، علّه ينبعث من شرنقة الخمول فيتمنى قوة العواصف القاهرة المدمرة المخربة، عساها تأخذ بناصية ثورته الدفينة، فتلقي بها في صدر الشعب المستسلم كي يثور ويتمرد، فيغير مصيره ويسترد عزته وكرامته المسلوقة، هذا ما جسده هذه الأبيات في نداء لشعبه :

¹ إيد ناصر، " دعاء إلى تاريخ الغريبة عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية"، ص: 06.

أيها الشعب ! ليتني كنت خطابا
 فأهوي على الجذوع بفأسي !
 ليتني كنت كالسيول، إذا سالت
 تهد القبور : رمسا برمس !
 ليتني كنت كالرياح، فأطوي
 كل ما يخنق الزهور بنحسي !
 ليتني كنت كالشتاء، أغشي
 كل ما أذبل الخريف بقرسي !
 ليت لي قوة العواصف يا شعبي
 فألقي إليك ثورة نفسي¹

ليلتحم شيللي والشابي فيحدث اللقاء المباشر بينهما عبر النظرة الرومانتيكية للحياة وفي رؤاهم الإنسانية المشتركة، من تفاؤل بمستقبل شعب ضريح تعود السير في أنفاق الظلام والجهل، ربما سيأتي عليه حين من الدهر يتخلص فيه من جهله وانحطاطه واستسلامه فيتحرك.

لهذا طلب شيللي من الريح أن تجعله قيثارتها، لتلعب به أنفاسها كما تداعب أوراق الشجر في الغابة، فتسقط أفكاره الذابلة الميتة كما تسقط أوراق الشجر في الخريف، بقوة ألحان الريح وزفيرها، فتعانق روحه الثائرة، الريح الجبارة، لتحمل أفكاره ميتة هامة إلى الإنسانية فتنبعث من جديد حية مشرقة،- وقد وجدت صدى لها- بعد ولادة تحمل في أناتها صدى التغيير، العزة والكرامة. فما هو ذا يطلب من الريح أن تحمل أفكاره وتبثها في الكون بل أن تتحد روحه مع أنفاسها الثائرة قائلاً :

فلتجعليني قيثارتك، كما جعلت الغابة

ماذا لو سقطت عني أوراقى مثلها ؟

فصخب أحنائك القوية

سوف يأخذ من كلينا لحنا خريفيا عميقا

لكنه جميل في حزنه، فلتكوني أنا أيتها الثائرة

فلتحمي أفكارى الميتة فوق الكون

¹ أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص : 149.

مثل الأوراق الذابلة، لتعجلي بولادة جديدة.¹

يبدو أن الشابي كذلك متفائل بشعبه وبنصره، يتغنى بالحياة، يعج صدره بقوة التغيير واستنهاضه لهمم المستضعفين من أبناء شعبه، فيبث فيهم روح التفاؤل، إذ نراه يهتف بالطموح الذي يعلي الانسان، ويحقق له الظفر بالنصر، أما الموت والخمول، فيعدمان عزته فمهما عظم شأنه الا أن مصيره دائماً نحو الأسفل، وأن النفوس وحدها، قادرة على الانبعاث من رماد القهر وأشواك الحياة، من قيود الواقع المؤلم إلى ممالك الاستقلال واستنشاق عطر الحرية.

هو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت مهما كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر

.....

وأعلن في الكون أن الطموح لهيب الحياة وروح الظفر
إذا طمحت للحياة النفوس فلا بد أن يستجيب القدر²

دفعت قسوة الحياة وجبروت الواقع واستسلام الشعب واليأس من سكونه وجموده وسلسلة الآلام المتواصلة، التي نسج حلقاتها الخضوع والانقياد دون مقاومة أو ثورة وتمرد شاعرينا شيللي والشابي إلى التشاؤم من حين لآخر .

فنلمح شيللي متشائماً ينجي الريح الحرة، عليها تحمله معها كموجة، ورقة، سحابة بعيداً عن دنيا الآلام والأشواك، التي توجت الحياة، فأفقدتها لونها الزاهي وحركتها النشيطة المتفائلة بغدٍ أفضل حتى أنه ومن شدة الألم صار ينزف دماً، للمرارة واقعه وساعاته الثقيلة التي أعيته، ليتحول من إنسان نشيط كالريح، إلى عاجز منحني الظهر، لا يستطيع الانطلاق كالشهب في ليلة حزينة، حزن قمرها على بني البشر وضعفهم الذي لم يتعود عليه.

¹ إياد ناصر دعاء إلى الريح الغربية عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية". ص: 07 .

² أبو القاسم الشابي. أغاني الحياة. ص: 243

إنني أقع على أشواك الحياة !إنني أنزف دما!

أرزاء ساعات ثقيلة قد قيدت و أحنث ظهر

امرى مثلك أيضاكان شرود، نشيط و فخور¹

لنلمس ذلك التشاؤم في روح الشابي أكثر منه عند شيللي إذ كان أبو القاسم أكثر سلبية وتشاؤماً، هذا راجع إلى احتراق قلبه الضعيف بنار شعبٍ لا يعرف معنى الحياة، فقد استنزف طاقة جسده وروحه من أجل تحرير شعبه من قيود الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي أتى على الأخضر واليابس في أرضهم، ودعوته لاسترجاع كرامته وحريته، عبر ثورة جياشة عكرت صفو مشاعره، فألقى بها إلى الشعب عساه يحتضنها، لكن العكس وقع فبدل احتضانه وثورته، كفروه، رفضوه وأفكاره الجديدة، هذا ما جعل قريحته تتطفئ كآبة ويتشبث لسانه ألماً، وتتشل أنامله يأساً، ويجف قلمه حسرة، على شعب محطم المشاعر والأحاسيس، مستنزف الكرامة، مغتصب الحقوق، يتخبط في ظلام الجهل والانقياد.

عمل الشابي جاهداً بكل ما أوتي من قوة- حتى أنه لم يصغ لنصيحة الأطباء- راح يرهق جسده الضعيف- ويتعب قلبه المنكسر لنصرة شعبه، لكنه طعن من هؤلاء طعنة راح يتجرع آلامها كؤوساً من الأسى والضجر، دفع به إلى اعتزال دنياهم وحياتهم البالية والهروب إلى الغاب، الذي يدرك معنى الحياة الحقيقي، عسى جراحه تلتئم هناك:

إنني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضي الحياة، وحدي، بيأس

إنني ذاهب إلى الغاب علي في صميم الغابات أدفن بأسي

ثم أنساك ما استطعت، فما أنت بأهل لخمرتي و لكأسي

سوف أتلو على الطيور أناشيدي و أفضي لها بأشواق نفسي

فهي تدري معنى الحياة وتدري أن مجد النفوس يقظة حس²

¹ إياد ناصر. "دعاء الريح الغربية عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية. ص 07.

² أبو القاسم الشابي. أغاني الحياة. ص 150.

بينما كان الشابي يعزف لحن الأحزان، ويتجرع كؤوس اليأس يعانق الغاب، ويحاكي الطيور، في عزلة خيم عليها جو من التشاؤم والنفور من شعب كانت سلبيته مدمرة لروحه راح شيللي يلحن بنايه الحزين لحناً خفياً، نسماته تهاول، ذلك التهاول المنبعث من فؤاد الربيع، ربيع النصر والتحرر، المساواة والعدل، الحرية والمجد.

وبسحر هذه الأبيات

أنثري كلماتي بين البشر

كما تنثرين الرماد و الشرر من قاع موقدة لم تنطفئ

كوني مزمار نبوءة من خلال شفتي

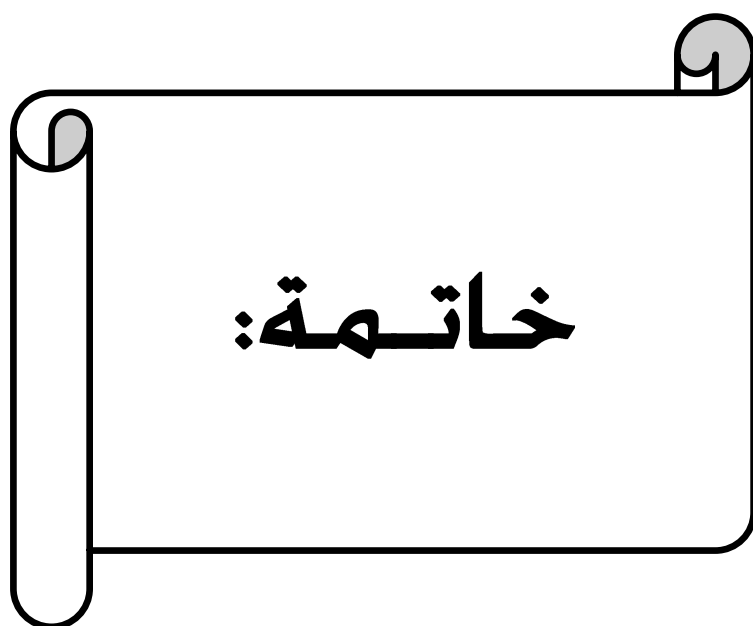
لأرض لم تستيقظ بعد! يا أيتها الريح!

حينما يأتي الشتاء ، أيتأخر الربيع بعده كثيراً¹؟

اشترك كل من الشاعر الإنجليزي "شيللي" والعربي "الشابي" في رؤيتهما الموحدة للمجتمع الضعيف، الخاضع دون مقاومة لظروف فرضها عليه الواقع المتسلط، والقوانين الجبارة، التي نسج خيوطها الاستعمار المدمر والدين المتشدد، فأنكر كل منهما على المجتمع بل على الإنسانية كلها المشي في كهوف الظلام الدامس، لإحداث ثقب من نور الحرية والمقاومة ، كانت معاناة ذاتية تجمع بين الشاعرين، تمزق لها قلب شيللي، فهبت ريح ثورته الكاسحة، تنبعث من بين حروف قصيدته " أنشودة إلى الريح الغربية "، معاناة اشترك في نسجها، الطبقة الإقطاعية المسيطرة على المجتمع الخائفة لطبقاته الضعيفة الأخرى، الانقلاب الصناعي الذي حول الكون كله بجماله وأناقته الشاعرة إلى آلة، قوانين الجامعة التي حرمت حقه في التعبير عن رأيه بحرية فاتهموه بالإلحاد، لأنه وقف جامداً أمام رجال الدين ورفض صكوك ممالك الجنة، فتمرد على سلطتهم، إضافة إلى تجمد مشاعر المجتمع وقسوته حين رفض إعطائه أبناءه وحرمة من فلذات كبده.

¹ إياد ناصر. دعاء إلى الريح الغربية عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية. ص 09

في المقابل كانت روح الشابي تتعذب، وفؤاده ينزف دماً، لما أحدثه الاستعمار الفرنسي الغاشم في تونس، وفي أبنائها، إضافة إلى قسوة الحياة عليه، إذ حرمته صحته وعافيته أنهكت قلبه بمرض مزمن زاد من معاناته أتعبت نفسه بآلام متواصلة وأزمات متعاقبة بدأت بموت أبيه ثم موت حبيبته، التي خُطفت منه، فتركته وحيداً يتخبط في أحزان وأوجاع قلبه ودُنْيا أحلامه، فتفجرت قريحته بشعر طبعته حروف الثورة، وأنفاس التمرد فانبتت من أحشاء "ديوان الحياة"، أصوات المقاومة، العزة والاستقلال، لكن هذه الأصوات لم تجد لها صدى يأخذ بيدها إلى ميدان الفعل والمجد، بل على العكس كُبلت وأُعدمت بحجة الكفر هذا ما جعل الشابي أكثر تشاؤماً و سلبية من شيللي.



خاتمة:

تبدو المغامرة في رحاب الرومانتيكية مع الشعر الإنجليزي ونظيره العربي وهما في أوج ثورتهما وتمردهما، صعبة طويلة وشاقة، غير أن الإبحار في محيط إنسانية شاعرين، جسدا كل معاني الحياة الجميلة الكريمة، والكون الرحب الذي لا يقبل طيوراً مكسورة الجناح في عالمه المشرق، جعل المغامرة شيقة جميلة جمال شعرهما، متفائلة تفاؤلها بالحياة الحرة المجيدة، أين استطعت الخروج بجملته من النتائج أهمها :

❖ مثلت الرومانتيكية الإنجليزية: الرومانتيكية الثائرة المتمردة. مثلت النزعة التحررية محطة القيود البالية -قيود الكلاسيكية- التي خنقت إبداع الشاعر، وأعدمت أحاسيسه ومشاعره، وصقلت تجديده في قوالب تقليدية هشة بصرامتها.

❖ تعتبر موضوع الثورة والتمرد خاصية من خصائص الرومانتيكية الغاضبة الثائرة التي انبثقت من أحشائها أصوات رافضة، هائجة بعواطف جياشة ملتهبة، محاربة الظلم والطغيان، حيث كان من بين الأصوات الثائرة شاعرنا الإنجليزي شيللي والعربي الشابي يقفان جنباً إلى جنب.

❖ كانت قصيدة "أنشودة إلى الريح الغربية" صوتاً ملتهباً، بل ثورة انفجارية في وجه العبودية والعذاب، حاملة أفكار شيللي على كف ريح متمردة عاصفة لتعطيها من أنفاسها الثائرة، فتتشرها في الكون.

❖ حملت قصيدة "إرادة الحياة"، "النشيد الجبار"، "النبي المجهول" ثورة الشابي وتمرده نسج حروفها الوقوف ضد الظلم، القهر والاستبداد، اقتلاع المستعمر الفرنسي من جذوره.

❖ عشق شيللي الحرية والتحرر والانطلاق، فما كان له غير معانقة الطبيعة والهيام بعناصرها، باثناً أفكاره من رحمها، فولدت من جديد مع نسيمات الربيع الحي، في حين كان الشابي يرى في الطبيعة عزاءه وسلوانه فراح يتغنى بعناصرها ويشيد قصور شعره على ضفاف أمواجه، وسحب أمطارها، وقمم جبالها، ربما ستتبعث أفكاره وثورته من رماد خريفها.

❖ أفنى الشابي عمره، لنصرة شعبه، وتحرير وطنه الذي كان يعشقه إلى النخاع، فألمه منظر وطنه و هو يغتصب، وخيراته تنهب، وشعبه صامت مستسلم.

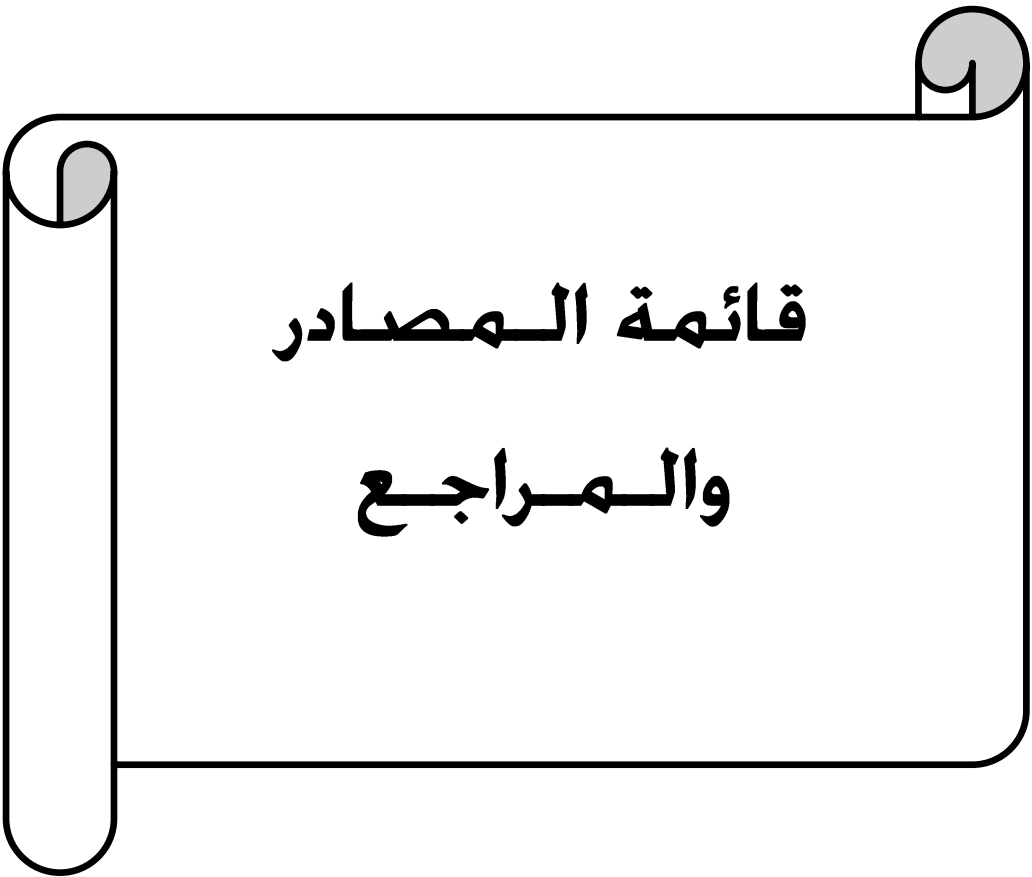
❖ حارب شيللي بشعره كل أنواع الاضطهاد والقمع، استنهض همم النائمين في مغارات الجمود، في زوايا الضعف، السكوت والخضوع، حالما بالحرية والانعقاد، مؤمناً بالتغيير الجذري، فتفاعل بولادة فجر جديد.

❖ جعل الشابي من الاستعمار الفرنسي عدوه، وهدف سهامه الشعرية، فنزل عليه بوابل من رماح الحرية والانعقاد، محرّضا شعبه للوقوف في وجهه والحد من جبروته وقسوته جاهد بأنامله وريشته الجهل والانحطاط فكانت قصائده رسالة نبيلة ألقاها في قلب شعره ليحملها إلى شعبه عساه يحتضنها و يعمل بها.

❖ كانت معاناة شيللي والشابي ذاتية، في ضوء المعاناة الجماعية التي تقبع في أعماق التعذيب والاستعمار، النهب والسلب، الكرامة المجروحة والمستقبل المجهول، فقد كان شعرهما يخرج من بين زوايا المجتمع المقهور، وواقع الظلم والعبودية، السيطرة الظالمة، والخضوع الإرادي لها.

❖ استمد شيللي ثورته وتمرده من واقعه، فقد عايش الأزمات والتحوّلات فعبّر عنها بصدق، فصاحبه الشابي في هذا، إذ استوحى نبضات شعره المتسارعة الملتهبة بنار الثورة والتمرد، من واقع شعبه المبحر بسفينة الخمول إلى ضفاف المعاناة والتعذيب لينطلق مغرداً وراءه وأمامه عساه يغير وجهته.

❖ جمعت الثورة والتمرد كلا من شيللي والشابي، ليعبرا عن آلام وآمال وطموحات الإنسان التواق للحرية، فكان الشعر أداتهما في بلوغ التغيير الجذري، لكن الشابي كان أكثر سلبية وتشاؤماً من شيللي، وهذا راجع إلى شعب أنكره وشعره، وهو الذي هلك في نصرته من خلال شعر راح ينسج حروفه من أنات قلبه المريض ونفسيته المرهقة.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. أبو القاسم الشابي. - أغاني الحياة. ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.
- الخيال الشعري عند العرب. ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2013.

ثانياً: المراجع:

أ. المراجع العربية:

2. أمال فريد. الرومانسية في الأدب الفرنسي. دار المعارف، القاهرة.
3. جيهان صفوت رؤوف. شيلي في الأدب العريب في مصر. دار المعارف، القاهرة 1911.
4. صالح لمباركية. الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية. دار قانة للنشر والتوزيع الجزائر 2007.
5. عبد الرزاق الأصفر. المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها - منشورات اتحاد الكتاب العرب www.qwu-dam.com
6. عبد العزيز المسدي. قراءات مع الشابي والمتنبى والجاحظ وابن خلدون. ط4، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.
7. عبد العزيز النعماني. أبو القاسم الشابي رحلة في دنيا الشعر. ط1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997.
8. فايز علي. الرمزية و الرومانسية في الشعر العربي www.kotobarabia.com
9. فؤاد المرعي. المدخل إلى الآداب الأوروبية. مديرية الكتب والطبعات الجامعية سوريا، 1996
10. محفوظ كحوال. أروع قصائد أبي القاسم الشابي. نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
11. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

ب. المراجع المترجمة:

12. شيلي .برومثيوس طليقا. تر: لويس عوض، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب
مصر، 1996.

ثالثا: المجلات

13. مجلة التحرير، مصر، العدد 12 . copyright@2015alamelarab.com

14. مجلة السياسة الأسبوعية. مصر، 18 يناير 1930 . www.hindaowi.org

15. مجلة الثقافة الأسبوعية. الإمارات. العدد 10.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

16. إياد ناصر. "دعاء إلى الريح الغربية عودة إلى الأمثلة الرومانتيكية".

Inassar98@hotmail.com 7:00. 2015/05/10

17. سعيد علوش. "المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن استمرارية للمدرسة الفرنسية".

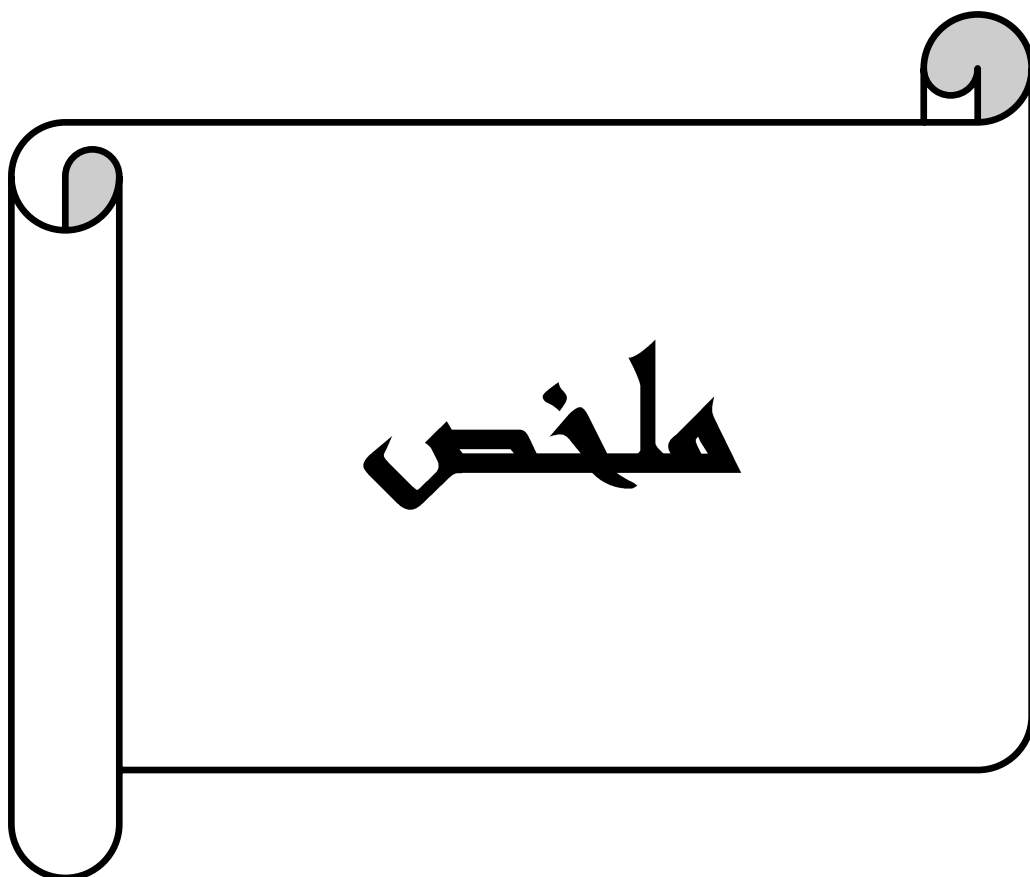
يناير 2008، 2015/05/10، 10:03 www.saidallouch.net



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ.....	مقدمة :
8.....	مدخل: الرومانتيكية (ROMANTIC)
8.....	أ-المفهوم : ..
11.....	ب- النشأة :
15.....	ج- الخصائص:
19.....	أولا : شيللي بيرسي بيتشي " Shelley Percy Bysshe "
19.....	أ-حياته: [1822 – 1792]
21.....	ب-البيئة السياسية و التاريخية والاجتماعية في إنجلترا في عصر " شيللي " :
22.....	ج-أهم الموضوعات التي تناولها شيللي في شعره:
22.....	1-الطبيعة.....
23.....	2-الحب:
24.....	3-الموت :
25.....	ثانيا: أبو القاسم الشابي [1934-1909]
25.....	أ-حياته :
26.....	ب-البيئة السياسية و الاجتماعية في تونس في عصر الشابي :
27.....	ج- أهم الموضوعات التي تناولها الشابي في شعره:
27.....	1-الطبيعة:
28.....	2-الحب:
29.....	3-الكآبة:
44.....	خاتمة:
47.....	قائمة المصادر والمراجع:



ملخص البحث بالعربية:

يدور موضوع بحثي هذا حول الثورة والتمرد بين شيللي الشاعر الإنجليزي الرومانتيكي ونظيره العربي الشابي، حاولت من خلاله رصد الظواهر المشتركة بين شعرهما، وأن أستنبط مواطن التشابه والاختلاف من منظور المدرسة الأمريكية، بعيدا عن إثبات الصلات التاريخية المباشرة، أو التأثير المباشر بين هذه النصوص، لأجد أن موضوع الثورة والتمرد قد جمعت كلا من شيللي والشابي ، ليعبرا عن آلام وآمال وطموحات كل إنسان تواقة روحه للحرية والتحرر، فكان الشعر أداتهما لبلوغ التغيير الجذري، في مجتمعات اعتادت السير في كهوف الظلم والقهر والانقياد، ولكي تتحقق أهداف البحث ارتأيت تقسيمه إلى مدخل وفصلين، مقدمة وخاتمة.

Abstract in English

This study investigates the revolution and rebellion in the poetry of the English romantic poet Shelley and his fellow Eshabi and also compare and contrast between their literary works. We also tried to highlight the similarities and differences in their poetry according to the American perspective which insists on the aesthetic aspects of texts regardless of the historical influences and connections. After examining some of their different works, we found out that rebellion and revolution were common subjects and themes for the two poets. We also found out that both poets expressed their sorrows, hopes, and ambitions of every human being who loves freedom and liberation, meanwhile, poetry was their tool to achieve radical changes in societies that are used to live in a world full of oppression and persecution. In order to get the set goals accomplished, we divided this dissertation into general introduction .two chapters, and a conclusion.